

الخصائص

(ولمّا قَضَيْنَا مِنْ مَنِيٍّ كُلِّ حَاجَةٍ ... وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ) .
(أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِيحُ) .
فقد ترى إلى علو هذا اللفظ ومائه وصِقَالِهِ وتلامح أَعْنَائِهِ ومعناه مع هذا ما تحسّسه وتراه إنّما هو لمّا فرغنا من الحجّ ركبنا الطريق راجعين وتحدّثنا على ظهور الإبل ولهذا نظائر كثيرة شريفة الألفاظ رفيعتها مشروفة المعاني خفيضتها .
قيل هذا الموضع قد سَدِّقَ إلى التعلُّقِ بِهِ مَنْ لَمْ يُنْزِعِمِ النَّظَرَ فِيهِ وَلَا رَأَى مَا أَرَاهُ الْقَوْمُ مِنْهُ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لَجَفَاءِ طَبَعِ النَّاطِرِ وَخَفَاءِ غَرَضِ النَّاطِقِ وَذَلِكَ أَنَّ فِي قَوْلِهِ كُلِّ حَاجَةٍ مَا يَفِيدُ مِنْهُ أَهْلَ النَّسِيبِ وَالرَّقَّةَ وَذَوُو الْأَهْوَاءِ وَالْمَقَامَةَ مَا لَا يَفِيدُهُ غَيْرُهُمْ وَلَا يَشَارِكُهُمْ فِيهِ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ أَلَا تَرَى أَنَّ مِنْ حَوَائِجِ مَنِيٍّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً غَيْرَ مَا الظاهر عليه والمعتاد فيه سواها لأن منها التلاقي ومنها التشاكي ومنها التخلُّصُ إلى غير ذلك ممّا هو تالٍ له ومعقود الكون بِهِ .
وكأنه صانع عن هذا الموضع الذي أومأ إليه وعقد غرضه عليه بقوله في آخر البيت .
(وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ ...)